عنوان البحث

الولاية فى الفكر الصوفي الإسلامي

الباحث

د/ مـــــها احـــمد

ملخص :

هذا بحث فى الولاية فى الفكر الصوفى ومنزلتها عند الصوفية تناولت فيه تعريف الولاية والولى فى اللغة والاصطلاح ، وصفة الأولياء ومن هم ، وكم المكذب بهم، ومعنى الولاية والولى فى القرآن الكريم ، والفرق بين النبى والولى ، وتحدثت عن أهمية الولاية فى التصوف الإسلامى .

Summary:

This is a study on guardianship in Sufi thought and its status in Sufism, in which I dealt with the definition of guardianship and the guardian in language and convention, the description of the saints and who they are, how much they are denounced, the meaning of guardianship and the ruler in the Holy Qur'an, and the difference between the Prophet and the Sovereign, and I talked about the importance of guardianship in Islamic mysticism

مقدمة :

تعتبر الولاية الصوفية من القضايا الهامة في الفكر الصوفى الإسلامى، وربما عدها البعض من أكثرها أهمية نظراً لارتباطها ببيان حال العبد عند مولاه جل وعلا، وقد وردت بالولاية الأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية ، ويرجع فضل وشرف الولاية للبُشريات التى بشر الله تعالى بها أولياؤه في الدنيا والآخرة .

إن شرف النسبة إلى الله Y بالولاية لهو شرف عظيم طريقه العلم والإيمان والتقوى، وهى منزلة ظفر بها من قام بحقها، وسنتعرف على معنى الولى والولاية في اللغة والاصطلاح، ومعانيها في القرآن الكريم، حتى نتعرف من يستحق أن ينال شرف هذه المرتبة .

أولاً: معنى الولاية والولي في القرآن الكريم:-

➢ أولاً : تعريف الولاية والولى في اللغة : الولاية بالكسر السلطان، والولاية النصرة، يقال: هم علي ولاية أي: مجتمعون في النصرة، وقال سيبويه: الولاية بالفتح المصدر في النسب والنصرة والعتق، والولاية بالكسر، الإسم مثل الإمارة والولاء في المعتق، والولي: الصديق والنصير، والموالاة من والى القوم والموالاة: ضد المعاداة، والولي: ضد العدو(1).

فالولاية بكسر الواو يعني: السلطان والأمر، وقرأ الباقون بفتح الواو، من الموالاة،(2)، كقوله تعالى :(اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا)(3) ، وقوله تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا)(4)، ومحل الشاهد في الآية الكريمة: أن الله تعالى ناصر وقريب ومؤيد للذين آمنوا بالله تعالى ورسوله وأطاعوه، فنجد أن الولاية في اللغة بالكسر تعنى: الإمارة والسلطان، أما الولاية بالفتح تعنى: النصرة والمحبة والقرب والدنو، وجميعها تدل على ولاية الله للعبد المؤمن، فالمحبة والنصرة والمتابعة .

والولى في اللغة : القريب والمحب والصديق والنصير والمولى والمالك والعبد والصاحب والجار والحليف، فهى كلمة قديمة في اللغة، واكتسبت معنى النصرة والمؤازرة (5)، والولي له معان كثيرة: فمنها: (المحب) ، وهو ضد العدو، اسم من والاه إذا أحبه، ومنها: (الصديق)

([1])ابن منظور، لسان العرب ، فصل الواو (407/15، 409، 411).

([2]) أبو إسحاق النيسابورى (أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي المتوفى: 427هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور- دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان –ط1- عدد الأجزاء 10- 1422 هـ - 2002 م،(172/6).

([3]) سورة البقرة ،آية 257.

([4]) سورة محمد ، آية 11.

([5]) د/أبو العلا عفيفى ،التصوف الثورة الروحية في الإسلام ،ص278 .

منها: (النصير) من والاه إذا نصره، والولي إما بمعنى (فعيل بمعنى فاعل) من توالت طاعته من غير تخلل عصيان، أو بمعنى (مفعول)من يتوالى عليه إحسان الله وإفضاله (6).

فالتعريفات اللغوية السابقة تحمل معانى متقاربة، فهى تحمل معنى الحماية والحصانة، والتوجيه والنصرة والمؤزارة.

➢ ثانياً: أما تعريف الولى فى الاصطلاح : نجد أن العديد من العلماء وضع تعريفات لهذا المصطلح ويمكن أن نضع لها ضوابط :

➢ فمن حيث التقوى يعرفه "الطبرى" بقوله : ولي الله هو من كان بالصفة التي وصفه الله بها، وهو الذي آمن واتقى(7)، يقول تعالى: (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ⊥ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ)(8)، فمحل الشاهد في الآية الكريمة: اختصاص الولاية بالإيمان والتقوى فهما وصف لازم للولاية، يقول العلامة"ابن كثير"*9: "يخبر تعالى أن أولياءه هم الذين آمنوا وكانوا يتقون ربهم، فكل من كان تقياً كان لله وليا"(10).

➢ ومن حيث المواظبة على الطاعات :"المراد بولى الله : العالم بالله، المواظب على طاعته المخلص في عبادته (11)، وفى تعريف آخر للأولياء جمع ولى وهو: المواظب على الطاعات

([6])الزبيدى (محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، ت: 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس ،ت: مجموعة من المحققين- دار الهداية للنشر، مادة ولى (242/40، 253) ، **وينظر**: الرازي (زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي ،ت: 666هـ)، مختار الصحاح، ت: يوسف الشيخ محمد- المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا-ط5، 1420هـ / 1999م- مادة ولى (345/1)،**وينظر:** ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ت **395)**، معجم مقاييس اللغة، ت : عبد السلام محمد هارون- دار الفكر- 1399هـ - 1979م- عدد الأجزاء 6، مادة ولى (141/6).

([7])الطبرى(محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر، ت: 310هـ) ،جامع البيان في تأويل القرآن،ت: أحمد محمد شاكر: مؤسسة الرسالة- عدد الأجزاء: 24- ط1، 1420 هـ - 2000 م- 123/15.

([8])سورة يونس ،آية 62، 63 .

(*) ابن كَثِير(774 هـ = 1373 م)هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوّ بن درع القرشي البصروي ثم الدمشقيّ، أبو الفداء، عماد الدين: حافظ مؤرخ فقيه، ولد في قرية من أعمال بصرى الشام، وانتقل مع أخ له إلى دمشق سنة 706 هـ، ورحل في طلب العلم. وتوفي بدمشق ، **ينظر** ، الزركلى ، الأعلام (320/1)

([10]) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ،ت: سامي بن محمد سلامة: دار طيبة للنشر والتوزيع ،ط2 عدد الأجزاء: 8- 1420هـ - 1999 م ، (278/4)

([11]) العسقلاني (أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر، ت: 852 هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري دار المعرفة – عدد الأجزاء: 13- بيروت 1379هـ، (342/11)، **وينظر:** التفتازانى (مسعود بن عمر بن عبد الله ،ت: سنة 793 هـ)، شرح العقائد النسفية، ت: د/أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية ،1408هـ، 1998م، ص92.

، التارك للمنهيات، المعرض عن اللذات والشهوات ، فلا يفعل شهوة من حيث هى شهوة ، بل أفعاله دائرة بين واجب ومندوب (12).

فالولاية هي مرتبة عظيمة في الدين لا يبلغها إلا من قام بالدين ظاهراً وباطنا وعليه فالولاية لها جانبان: جانب يتعلق بالرب سبحانه وتعالى وهو: محبة هذا العبد ونصرته وتثبيته على الاستقامة، وجانب يتعلق بالعبد وهو: التزام الأوامر، وإجتناب النواهى، والتدرج في مراقي العبودية بالنوافل(13).

وجاء في كتاب الولاية والنبوة (14)،أن مادة (و ل ى) نجد أن أول ما يتبادر إلى الذهن من معانى هذه المادة هو القرب والدنو، ثم تتولد عنه بعد ذلك دلالتان : الأولى دلالة على الصديق ، الثانية :دلالة على الحاكم والمدبر والقائم بالأمر، إذن فالولي بالمعنى الدقيق هو الصديق، وهو القريب، وهو أيضاً الناصر والمدبر(15).

إن القرآن الكريم قد عرف الولى تعريف جامع مانع، ونجد الإمام"عبد الحليم محمود" يسير في نفس السياق القرآنى ويعرفها بتعريفه، فيقول عن تعريف الولاية :"ليس لأحد أن يبتدع تعريف بعد تعريف الله تعالى لها" (16)، ويستشهد الإمام بقوله سبحانه عن الأولياء (الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ)"(17)، فهنا نجد الإمام قد حدد تعريف الولاية بالإيمان والتقوى، وليس بأي شيء آخر، فالإيمان والتقوى ملزومين للولاية ، فالإيمان من جانب العبد، وتقوى الله Y في السر والعلن، في الضراء والسراء، في كل وقت، وعلى آية حال، هى الحال الموصل لأن يكون ولياً لله تعالى.

ويتابع الإمام فيقول: "اعلم أن من امتثل أوامر الله تعالى واجتنب نواهيه، ورزق الخوف من الله تعالى، لا من خلقه، واجتهد في طاعته لله تعالى، وبحث من أمر كسبه، ووقف عند ما حد له، ورجع عن كل ما لا يعلم حكمه فهو (الصالح)، والأعلى درجة من هذا حصول الورع التام، وترك الطمع، وبغض الدنيا، ودرجات الصالحين تختلف بالترقي على حسب العناية من الله تعالى "(18).

ونتكلم عن الإيمان والتقوى بشيء من التفصيل، يقول "ابن منظور": واتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم أن الإيمان معناه التصديق، وحد الزجاج الإيمان فقال: الإيمان إظهار

([12]) الشيخ أحمد الصاوى ، شرح الصاوي على جوهرة التوحيد ، ت: د/ عبد الفتاح البزم – دار ابن كثير – دمشق – بيروت ،ص344.

([13]) اللالكائى (أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي ، ت: 418هـ)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، تحقيق :د/أحمد سعد حمدان – دار طيبة للنشر والتوزيع بالرياض- ط 1 – 1992م-1412هـ- ص7.

([14]) على شودكيفيتش، الولاية والنبوة عند ابن عربى ، ترجمة من الفرنسية د/أحمد الطيب ، دار القبة الزرقاء بالمغرب .

([15])المرجع السابق ، ص 29.

([16])د/عبد الحليم محمود ، لطائف المنن ، ص27.

([17]) سورة يونس ، آية63.

([18])د/عبد الحليم محمود ، لطائف المنن ، هامش ص 28.

الخضوع والقبول للشريعة ولما أتى به النبي، ρ، واعتقاده وتصديقه بالقلب ، يقول تعالى :" (وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا](19)، أي: بمصدق(20).

يقول العلامة "الألوسى"*21في تعريفه للإيمان :" هو التصديق بما علم مجيء النبي ρ به ضرورة تفصيلاً فيما علم تفصيلاً، وإجمالاً فيما علم إجمالاً، وهذا مذهب جمهور المحققين"(22)، وكذلك اتفق جماعة أهل السنة من سلف الأمة وخلفها أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص(23) .

فالإيمان والتقوى هما مقياس الولاية، وليس غيرهما من منصب أو جاه أو سلطان، فيتضح لنا أن التقوى ليست هى العبادة، ولكن التقوى هى ثمرة العبادة الحقة ، فرب عابد ولكنه غير تقى، لا يؤدى عبادته بخشية ولا أعماله بإتقان، فكل تقى عابد، وليس كل عابد تقى، يقول تعالى :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ](24)، فالصيام من أكبر أسباب التقوى، لأن فيه امتثال أمر الله واجتناب نهيه، فما اشتمل عليه من التقوى: أن الصائم يترك ما حرم الله عليه من الأكل والشرب والجماع ونحوها، التي تميل إليها نفسه، متقرباً بذلك إلى الله، راجياً بتركها، ثوابه، فهذا من التقوى(25)، ومحل الشاهد في الآية الكريمة أن التقوى محلها القلب، أما العبادة فهى فعل خارجي للجوارح ، وتقوى الله تعالى تكون بامتثال أمره، واجتناب نهيه.

يقول شارح العقيدة الطحاوية *26:" الولاية عبارة عن موافقة الولي الحميد في محابه ومساخطه، وليست بكثرة صوم ولا صلاة ولا تملق ولا رياضة"(27)، فرب عابد ليس له من عبادته إلا التعب لأنه لا يوافق الله Y في أوامره ، ولا ينتهى عما نهى الله عنه.

([19])سورة يوسف ، آية 17.

([20])ابن منظور ، لسان العرب ، (23/13)

(*) العلامة الألوسى (1217 هـ- 1270 هـ)هو محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، شهاب الدين، أبو الثناء: مفسر، محدث، أديب، من المجددين، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها، **ينظر:** الزركلي ، الأعلام ، (176/7).

([22])الألوسى ، روح المعانى ، ت: علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط:1، 1415 هـ- عدد الأجزاء: 16(113/1)

([23])النووي(أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف المتوفى: 676هـ) ، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، عدد الأجزاء: 18- ط:2، 1392هـ، (146/1)

([24])سورة البقرة ،آية183.

([25])السعدى (عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله ، ت: 1376هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة ،ط1- 1420،هـ -2000 م، ص86.

(*) ابن أَبي العِز ، ت 792 هـ) هو علي بن علي بن محمد بن أبي العز، الحنفي الدمشقيّ، فقيه كان قاضي القضاة بدمشق، ثم بالديار المصرية، ينظر: الزركلي ، الأعلام (313/4)

([27])ابن أبي العز ،شرح العقيدة الطحاوية، ت: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركى، وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة- بيروت – ط2-1411هـ، 1990م، عدد الأجزاء2- 507/2.

➢ ومن هنا نتبين منهج التصوف الإسلامي، ومنزلة الولي عند الله تعالى، فمنهج الولاية يتكون من أمرين هما: أداء الفرائض التي افترضها الله Y، ثم الإكثار من نوافل العبادات، فالصوفي هو إنسان يؤدى الفرائض كما أمر الله تعالى، وهو إنسان يكثر من النوافل(28)، فالولي هو المتقرب إلى الله تعالى دوماً بالطاعات، المكثر من العبادات وخاصة النوافل منها ، المحافظ على ادائها، والقائم بحقها.

➢ ومن هنا يستخلص أصل الولاية وشرطها، فأصلها الإيمان والتقوى، وشرطها الموافقة التامة في الحب والبغض والموالاة والمعاداة ومتابعة الرسول ρ في كل ما جاء به ، متابعة يتجرد فيها العبد لله ويخلص له فيها فلا تتم محبة الله للعبد إلا بشرط المتابعة للرسول ρ (29)، لقوله تعالى (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) (30)، "فالعبد إذا علم أن الكمال الحقيقي ليس إلا لله، وأن كل ما يراه كمالاً من نفسه أو غيره فهو من الله لم يكن حبه إلا لله وفي الله، وذلك يقتضي إرادة طاعته والرغبة فيما يقربه إليه"(31).

➢ثالثاً: صفة الأولياء: يقول الإمام "*عبد الحليم محمود*" :" وأما عن صفة الولي فمأخوذة من الحديث الشريف (الذين إذا رءوا، ذكر الله عز وجل)(32) فأولياء الله تعالى الذين إذا رآهم المؤمن ذكر ذنبه وعظم ربه(33) ، ويعنى الإمام بكلامه هذا أنهم من الخشية والخوف من الله بمنزلة، أو من كثرة ذكر الله بحيث إن الناس يذكرون الله عند حضورهم لما يبدو عليهم من علامات الصلاح والخير.

وعن صفة (القرب) وأنها من أهم صفات الولى " إن من أخص صفات الولى القرب من الله تعالى، ففى القرآن شواهد تدل على أن الله تعالى اختص عباده بالقرب منه، وبهذا المعنى يدخل الأنبياء في الأولياء، ويدخل الصوفية وغير الصوفية لأن صفة القرب حظ مشترك بينهم" (34).

ومن أخص صفات الولي أنه رجل فنى في الله، والفناء عند الصوفية نهاية الطريق وعتبة الوصول إلى الله تعالى، فالولي هو من استولى عليه سلطان المحبة الإلهية، فتجرد عن حوله وقوته، وأصبح لا يشعر بوجود غير وجود الحق، ومن صفاته أيضاً: أن يكون محفوظاً كما أن من صفات النبي أن يكون معصوماً، وهذا الشرط يعنى أن كلاً من النبى والولى لا يعصى الله،

([28])محمد زكى ابراهيم ، أصول الوصول ، ط5- 2005م، 1426هـ، ص 372.

([29])أبو بكر جابر الجزائرى، عقيدة المؤمن، مكتبة الكليات الأزهرية – ط 2– 1978م- 1398هـ- ص171.

([30])سورة آل عمران آية 31.

([31])البيضاوي (ناصرالدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي المتوفى: 685هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل،= تفسير البيضاوى، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ،عدد الاجزاء5- ط1 - 1418 هـ، (13/2).

([32])رواه ابن ماجه في سننه – (1379/2)، باب من لا يؤبه له- حديث رقم 4119، والبيهقى في شعب الإيمان 445/13،وقال الألبانى حديث ضعيف.

([33])د/ عبد الحليم محمود ، لطائف المنن، هامش ص28

([34])د/ أبو العلا عفيفى ، التصوف الثورة الروحية في الإسلام ، ص281.

ولكنهم يختلفان فعدم عصيان النبى راجع إلى العصمة (35) ، بينما الولى فهو إنسان كسائر الناس فيه المقدرة على المعصية والطاعة ولكن الله يحفظه بأن يبعث في قلبه نوراً يهديه ويصرفه عن المعصية (36).

➤ رابعاً: حكم المكذب للأولياء : يقول الإمام "عبد الحليم محمود" : "إن المكذب للأولياء مكذب للإيمان والتقوى اللذين هما ماهية الولي" (37)، فلا شك أن حكم المكذب للأولياء مكذب للإيمان لأن الله تعالى ذكر الأولياء في كتابه الكريم، وبشرهم بالعديد من البُشريات منها عدم الخوف والحزن، والرحمة والرضوان، وأنهم هم الفائزون، وأن الله تعالى معهم وناصرهم، أما المكذب المعادي لهم فليأذن بحرب من الله تعالى كما أخبر النبى ρ عن ربه، وعن النبي ρ كان من دعاء داود υ: "اللهم إنى أسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يبلغني إلى حبك "(38)، فلا تتم محبة الله ورسوله إلا بمحبة أوليائه، وموالاتهم وبغض أعدائه، ومعاداتهم، وسُئل بعض العارفين: بما تنال المحبة؟ قال: بموالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه، وأصله الموافقة (39)، فمحبة أولياء الله وسيلة تبلغ حب الله، ومعاداتهم وسيلة تبلغ الحرب مع الله والعياذ بالله.

➤ خامساً: معانى الولاية والولي في القرآن الكريم : لقد وردت مادة (و ل ى) في القرآن حوالى أربع وثلاثين ومائتى مرة(40)، ووصف الله تعالى بها نفسه قال تعالى : (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا)(41)، (وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ) (42) ، (وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ)(43)وغيرها العديد من الآيات كما وردت كلمة أولياء بالجمع للدلالة على عباد الله المقربين المجاهدين في سبيله (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (44).

إن موضوع الولاية ينبع في أساسه من القرآن الكريم ويرجع إليه، فمادة (و ل ى) تكررت في القرآن الكريم كما ذكرنا، إذ قد وردت فيه تحت اشتقاقات متنوعة، ، وقد أحصى أحد

([35])**العصمة** هى : عند الأشاعرة أن لا يخلق الله في العبد ذنبا ، وقيل العصمة هي خلق قدرة الطّاعة، وعند الحكماء : ملكة نفسانية تمنع صاحبها من الفجور أي المعاصي، وقيل العصمة أن لا يخلق الذنب، وقيل خاصية تمنع صدور الذنب، **ينظر:** التهانوى: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (1407/2)

([36])د/ أبوالعلا عفيفى ، التصوف الثورة الروحية في الإسلام ،.ص 284-288بتصرف.

([37])د/ عبد الحليم محمود ، لطائف المنن، هامش ص39

([38])رواه الترمذي(محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، (المتوفى: 279هـ)فى سننه، ت: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي ، ناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر- ط2- 1395 هـ - 1975 م - عدد الأجزاء: 5 -368/5، وقال الترمذي:هذا حديث حسن صحيح

([39]) بن رجب (زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي البغدادي الحنبلي ت: 795هـ)، فتح البارى شرح صحيح البخارى،ت: مجموعة من المحققين، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية، ط ا، 1417 هـ - 1996 م (56/1).

([40])عبد الباقى، المعجم المفهرس ، باب الواو، ص764-768.

([41])سورة البقرة ،آية 257.

([42])سورة الجاثية ،آية 19

([43]) سورة العنكبوت ،آية 22.

([44])سورة يونس ،آية 62.

المفسرين عشر معانى للولاية ترجع كلها إلى أمرين :الأول : يرتبط ارتباطاً مباشراً بمعنى القرب ، وأنه يدل بحسب السياق على معانى(الصديق ، الصاحب ، القريب ، الحليف ، الناصح) والثانى: يدور حول معنى الناصر والحاكم (45)

كما وردت كلمة(ولى) وجمعها أولياء بمعان شديدة الاختلاف ، منها بمعنى حسن كقوله تعالى (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُون) (46) وجاءت في آيات أخرى بمعنى سلبى سيىء كقوله تعالى (فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ)(47)،وكلمة ولى هى اسم من أسماء الله الحسنى، يقول تعالى(وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ)(48).

- وسأذكر على سبيل المثال لا الحصر بعض المعاني التى وردت في القرآن الكريم الخاصة بالولاية ومعناها، فلقد وردت الولاية في القرآن الكريم بمعنى :

أ - الحفظ ، والعناية الخاصة بأهل الإيمان: ومنها قوله تعالى : (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ)(49)، أى أن الله تعالى وليهم وناصرهم، وقال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ)(50)، أى: ليس للعبد من يتولاه إلا الله ناصره ومؤيده ، (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ) (51)، يقول الإمام "الطبرى" : " والكافرون بالله ما لهم من ولي يتولاهم يوم القيامة، ولا نصير ينصرهم من عقاب الله حين يعاقبهم، فينقذهم من عذابه، ويقتص لهم ممن عاقبهم" (52)، فمحل الشاهد في الآيات: أن الله تعالى هو مولى المؤمنين وناصرهم ومؤيدهم ،أما الكافرين فلا مولى لهم ولا ناصر لهم من دون الله Y.

ب- الولاية سبب للحفاظ من الضلال والخذلان، يقول تعالى(وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ) (53)يقول الإمام "الطبرى": " ومن خذله الله عن الرشاد، فليس له من ولي يليه، فيهديه لسبيل الصواب، ويسدده من بعد إضلال الله إياه "(54)، وقد نهانا الله تعالى في كتابه الكريم أن نتخذ الكافرين أولياء فقال تعالى (لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً) (55)، فالله Y يحذر من موالاة الكافرين وإظهار المودة لهم من دون المؤمنين، فالله تعالى حذر من موالاة المشركين ولو كانوا أقرب الناس إلى المؤمن، قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ

([45]) على شودكيفيتش، الولاية والنبوة عند ابن عربى، ص31،32

([46])سورة يونس ،آية 62

([47]) سورة النساء ، آية 76.

([48])سورة الجاثية ،آية 19.

([49])سورة البقرة آية 257.

([50])سورة التوبة ،آية 116.

([51]) سورة محمد ،آية 11.

([52])الطبرى ، جامع البيان في تأويل القرآن(تفسير الطبرى)، باب 8،(505/21)

([53])سورة الشورى ،آية 44.

([54])الطبرى ، تفسير الطبرى ،باب 43، (551/21)

([55])سورة آل عمران ،آية 28.

اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)(56) ، يقول الإمام "القرطبي" :" وبما أن الله تعالى ولى فإنه يحميهم من الظالمين الذين يتوالون ضد أولياء الله ومن هم الظالمون ؟ قال ابن عباس ψ: يريد أن المنافقين أولياء اليهود (57)

ويقول الإمام "الطبرى" : "والله يلي من اتقاه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه بكفايته، ودفاع من أراده بسوء، يقول جلّ ثناؤه لنبيه عليه الصلاة والسلام فكن من المتقين، يكفك الله ما بغاك وكادك به هؤلاء المشركون، فإنه وليّ من اتقاه، ولا يعظم عليك خلاف من خالف أمره وإن كثر عددهم، لأنهم لن يضرّوك ما كان الله وليك وناصرك"(58)، و يحذر سبحانه من يسير في طريق الضلال باتباعه وموالاته لغير المؤمنين بقوله :(إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ](59)،ويقول العلامة الألوسى: " أى قرناء لهم مسلطين عليهم متمكنين من إغوائهم بما أوجدنا بينهم من المناسبة ،أو بإرسالهم عليهم وتمكينهم منهم"(60).

ج –الطمأنينة: يقول تعالى:(أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (61)، فمحل الشاهد في الآية الكريمة : أن أولياء الله المؤمنين المتقين لا خوف عليهم في الدنيا ولا في الآخرة، ولا هم يحزنون على الدنيا ولا خوفاً من الآخرة، لأنهم يسعون إلى رضا ربهم ولا يخافون يوم القيامة لأن الله تعالى قال في حقهم (فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا) (62)، فعدم خوفهم سببه أن الله تعالى طمأنهم، فعن أبي هريرة τ أنه قال: قال رسول الله ρ: «إن من عباد الله عبادا ليسوا بأنبياء، يغبطهم الأنبياء والشهداء، قيل: من هم لعلنا نحبهم؟، قال: هم قوم تحابوا بنور الله من غير أرحام ولا انتساب، وجوههم نور على منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس»، ثم قرأ(أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (63)

فالله تعالى منح لأوليائه الطمأنينة ثم أتبعها بالبشارة بقوله تعالى :(لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)(64)وورد في تفسير البشرى في الآية الكريمة أنها ما بشر به المتقين في كتابه وعلى لسان نبيه ρ وما يريهم من الرؤيا الصالحة وما يسنح لهم من المكاشفات، وبشرى الملائكة عند النزع فِي الآخرة، وتلقي الملائكة إياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة بيان لتوليه لهم(65) .

([56])سورة التوبة ،آية 23

([57])القرطبى .الجامع لأحكام القرآن (164/16.)

([58])الطبرى ، جامع البيان في تأويل القرآن، باب 20 -(71/22).

([59])سورة الأعراف ،آية 27.

([60])الألوسى ، روح المعانى 149/6.

([61])سورة يونس، آية 62.

([62])سورة الإنسان ، آية11.

([63]) سبق تخريجه.

([64])سورة يونس آية 64.

([65])البيضاوى، تفسير البيضاوى - (118/3).

د- النصر : يقول الله تبارك وتعالى (بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ) (66)، فالله Y إذا تولى المؤمن فهو ناصره يقول الطبري في تفسير الآية الكريمة أن الله مسدِّدكم، أيها المؤمنون، فمنقذكم من طاعة الذين كفروا، ويعني بقوله: "(بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ]، وليّكم وناصركم على أعدائكم الذين كفروا، "وهو خير الناصرين"، فبالله الذي هو ناصركم ومولاكم فاعتصموا، وإياه فاستنصروا، دون غيره ممن يبغيكم الغوائل، ويرصدكم بالمكاره (67)، يقول تعالى:(وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ) (68).

هـ - استجابة الدعاء:

وهذا الفضل وهو استجابة الدعاء أشير إليه في الحديث القدسي (وإن سألني لأعطينه ،ولئن استعاذني لأعيذنه) (69) فعن أبي هريرة، أن رسول الله ρ، قال: «رب أشعث، مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره» (70) فرب هذا الأشعث قريب من الله تعالى وقلبه معلق به فيستجاب لدعائه حتى لو أقسم على الله تعالى أبره إكراماً له.

ثانيا: الولاية الصوفية أساس التصوف– والفرق بين النبى والولى

➤ أولاً – أهمية الولاية بالنسبة للتصوف .

إن الولاية لها أهمية كبيرة في الإسلام عامة وفى التصوف خاصة؛ لأنها علاقة بين الله تعالى من ناحية، وبين العبد من ناحية أخرى، فولاية الله تعالى للمؤمنين تعنى إحسانه ونصره وتأييده لهم، لذلك نجد الصوفية تحدثوا عنها كثيراً "إن التصوف والولاية أمران لا يفترقان ، فبغير أولياء لا يوجد تصوف ، إذ الولاية هى أصل التصوف ومنبعه وزاده الذى يحيا به ومنها يستمد دوره " (71).

فجميع المسلمين في حاجة إلى رحمة الله تعالى وتأييده وإحسانه، وفى هذا يقول الإمام "عبد الحليم محمود" : "فالولي : ولى يتولى الله ، وولى يتولاه الله ، يقول الله تعالى في الأولى (وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ) (72)، ويقول تعالى في الثانية

(66)سورة آل عمران ،آية 150.
(67)الطبرى ، تفسير الطبرى ، (278/7).
(68)سورة الأعراف ،آية 197.
(69)سبق تخريجه.
(70) رواه الإمام مسلم فى صحيحه ، باب فضل الضعفاء .(2024/4) ، (أشعث) والأشعث: الملبد الشعر المغبر غير مدهون ولا مرجل (مدفوع بالأبواب) أي لا قدر له عند الناس فهم يدفعونه عن أبوابهم ويطردونه عنهم احتقارا له (لو اقسم على الله لأبره) أي لو حلف على وقوع شيء أوقعه الله إكراما له بإجابة سؤاله وصيانته من الحنث في يمينه وهذا لعظم منزلته عند الله وإن كان حقيرا عند الناس وقيل معنى القسم هنا الدعاء وإبراره إجابته والشرح في صحيح مسلم، ت: محمد فؤاد عبد الباقى نفس الصفحة.
(71)على شودكيفيتش، الولاية والنبوة عند ابن عربى، ص19.
(72)سورة المائدة ،آية 56.

:(وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ) (73)، أو قل هما ولاية إيمان، وولاية إيقان، فولاية الإيمان قوله تعالى (وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ) (74).

- ويعدد لنا الإمام "عبد الحليم محمود" الفوائد المذكورة في تلك الآية وهى :

الفائدة الأولى :- اختصاص اسم الله تعالى بالذكر دون ما سواه من الأسماء، فلم يقل الرحمن ولا القهار، ولا غيرها من الأسماء، لأنه أراد أن يعرفك شمول ولايته لعباده المؤمنين، فلو ذكر اسماً من الأوصاف لكانت الولاية من حيثية ذلك الإسم .

الفائدة الثانية – ربط الولاية بالإيمان ليعرفنا عزازة قدر الإيمان، وعلو منصبه حتى كان سبباً لثبوت ولاية الله للعبد.

الفائدة الثالثة – دل سبحانه بقوله (يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ)(75)، على وسع رحمته وسبوغ نعمته .

الفائدة الرابعة – إعلام الحق سبحانه في هذه الآية للمؤمنين ببشارة عظمى تتضمنها ولايته لأنها تضمنت كل خير في الدنيا والآخرة من نور، وعلم، وفتح، ومغفرة، ويقين، ورؤية لله Y، ورضا عن الله، ومن الله، وحشر مع المتقين، وأخذ للكتاب باليمين .

الفائدة الخامسة – يخرجهم من الظلمات إلى النور، أى: من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، من ظلمات البدعة إلى نور السنة، من ظلمات الغفلة إلى نور اليقظة، من ظلمات الدنيا إلى نور الآخرة (76)، فالله تعالى يتولى عباده المؤمنين في الدنيا بهدايتهم للإيمان، ونصرهم، وتسديدهم، وحمايتهم ، وفى الآخرة بفوزهم برضوان الله تعالى.

يقول "الهجويرى" :" إن لله Y أولياء قد خصهم بمحبته وولايته، وهم ولاة ملكه الذين اصطفاهم وجعلهم آية إظهار فعله وخصهم بالكرامات، وطهرهم من آفات الطبع وخلصهم من متابعة النفس فلا هم لهم سواه، ولا أنس لهم إلا معه "(77).

فهذا بيان عن فضل الأولياء، وأن الله تعالى اختصهم بمحبته وأطاعوه فاختصهم بولايته، وطهرهم من آفات الطبع، وهذا الكلام لا يعنى العصمة للأولياء، فهم لا يزالون يتصفون بالتقوى ويسارعون بالتوبة، ويجتنبون المعاصى، فيكونوا بعد ذلك أكثر حرصاً على اجتنابها، وسُئل أبو يزيد البسطامى من الولى؟ قال: الولى هو الصابر تحت الأمر والنهى، لأنه كلما ازدادت محبة الحق في قلبه أصبح أمره أكثر تعظيماً على قلبه، وازداد جسده بعداً عن نهيه (78).

➢ ثالثاً – الفرق بين النبى والولى.

النبوة اصطفاء من الله تعالى ومنحة إلهية، يخص بها الله Y من يشاء وهى

([73])سورة الأعراف ، آية 196.

([74])سورة الجاثية ،آية 19.

([75]) سورة البقرة ، آية257.

([76]) د/عبد الحليم محمود ، لطائف المنن،ص71-77.بتصرف.

([77])الهجويرى، كشف المحجوب، 446/2.

([78]) المرجع السابق ،452/2.

تختلف عن الولاية فهى لا تُنال بالمجاهدة، وقد جاء في القرآن الكريم ما ينص على أن النبوة اختصاص قال تعالى: (وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى) (79)، وقال تعالى (اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ)(80)، فاللَّهُ تعالى يصطفي من الملائكة رسلًا كجبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، وَمِنَ النَّاسِ الأنبياءَ المرسلين، إِنَ اللَّه سميع لمقالة العباد بصِير بمن يتخذه رسولاً(81).

فالآيات الكريمة توضح اصطفاء الله تعالى واختياره لأنبيائه فهى هبة ومنحة من الله تعالى، أما الولاية فهى من الأمور الكسبية التى ينالها العبد باجتهاده في الطاعات والعبادات وامتثال أوامره تعالى واجتناب نواهيه.

وهناك شرط يوضح الفرق بين النبى والولى وهو "كما يشترط فيه إخفاء حاله، ومن شروط النبي إظهار حاله " فهذا فرق بينهم، فالولي على ما قال البعض هو الذي يكون مستور الحال أبداً، والكون كلّه ناطق على ولايته، فباب الولاية مفتوح وباب النّبوة مسدود "(82)، أما النبى فعكسه فلابد أن يكون معلوماً وإلا كيف يصل برسالته إلى الخلق ويؤديها كما أمره الله بها .

ولقد تعددت آراء الصوفية حول مسألة المفاضلة بين الأنبياء والأولياء فمنهم من رأى أن الولاية جزء من النبوة، ومنهم من ساوى بينهما، ومنهم من فضل الولاية على النبوة وجعلها في مرتبة أعلى منها، وسننقل بعض الآراء لكبار الصوفية وموقفهم من ذلك ورأى الإمام "عبد الحليم محمود" ونقده لمن قال بتفضيل الولى على النبى .

يقول "الهجويرى" : "إن جملة مشايخ هذه الطريقة مجمعون على أن الأولياء متابعون للأنبياء ومصدقون لدعوتهم، وأن الأنبياء أفضل من الأولياء، فنهاية الولاية هى بداية النبوة، وجميع الأنبياء أولياء، ولا يختلف في هذا أحد من علماء أهل السنة "(83) ، فيوجد اتفاق بين العلماء وكبار الصوفية على تفضيل النبى على الولى، وأنه أى الولى تابع للنبى، ولكن أولاً نعرف متى بدأت الفكرة بالظهور وعلى يد من ؟

ويحدثنا د/ "أبو العلا عفيفى" عمن تكلم في مسألة المفاضلة بين الأنبياء والأولياء فيقول:" وأول من آثارها متصوفة الإمامية بالكوفة، وظهرت بعد ذلك في كلام متصوفة الشام، فهم يذهبون إلى تفضيل الأولياء على الأنبياء جملة، ويذهب هذا المذهب "الحكيم الترمذى"* (84).

ويوضح "الترمذي" مفهوم العلاقة بين الولي من جانب، وبين الرسول والنبي من جانب آخر، في رسالة سماها (بدو الشأن)(85) فيقول أن للنبوة والرسالة نهاية تتزامن مع نهاية العالم، فمع مجيىء يوم القيامة يبطل معنى الإنذار بالآخرة ، والمطالبة بالتكاليف الشرعية اللذين هما مدار النبوة والرسالة، أما الولاية فتستمر إلى ما لا نهاية، وهل يعنى الحكيم الترمذى بهذا

([79])سورة طه ،آية 13.

([80])سورة الحج ،آية 75.

([81])الجوزى (جمال الدين أبو الفرج ، ت: 597هـ)زاد المسير في علم التفسير، ت:عبد الرزاق المهدي ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ، ط1 - 1422 هـ (250/3).

([82])التهانوى ، كشاف اصطلاحات العلوم والفنون (1807/2)

([83])الهجويرى ،كشف المحجوب ، ج2، ص474.

([84])د/أبو العلا عفيفى ، التصوف الثورة الروحية في الإسلام ، ص293.

([85]) وهى رسالة نشرها د/عثمان يحيى كملحق لكتاب ختم الأولياء للترمذى.

الكلام تفضيل الولاية على النبوة ؟ وجاءت الإجابة بالنفى المطلق لأن الولاية في الرسول والنبي أتم وأشمل من النبوة والرسالة في ذات النبى والرسول نفسه (86).

ونجد رأى "ابن عربي" في موضوع تفضيل الولاية على النبوة هو نفس رأى "الحكيم الترمذى"، فالولاية عنده جامعة للنبوة والرسالة، والنبوة والرسالة نابعتان من الولاية، ولذا تفضل الولاية كلاً من النبوة والرسالة في ذات الشخص الواحد المتصف بهذه الصفات الثلاثة، فالولاية تابعة للنبوة عندهم، فيقول: "إن مخاطبة الولى غير مخاطبة النبى، ولا يتوهم أن معارج الأولياء على معارج الأنبياء ليس الأمر كذلك، لكن معارج الأنبياء بالنور الأصلى، ومعارج الأولياء بما يفيض من النور الأصلى " (87).

فمن يظن أن "ابن عربي" يفضل الولى على النبى فهو مخطئ فهو يرى أن الولاية أشمل من النبوة في نفس ذات الشخص (النبى) ولكن على العموم هى ليست أفضل من النبوة .

يقول د/ " أبو العلا " موضحاً مقصد ابن عربى : "من ظن أن ابن عربي يقول بأفضلية الولى على الرسول أو النبى فقد أخطأ فهمه ، يقصد أنه فهم الشيخ خطأ، "فابن عربى" لم يقل بهذا إلا في ذات النبى أو الرسول كما أوضحنا، يقول الشعراني موضحاً لكلام ابن عربي ومدافعاً عنه أن الشيخ قال (يقصد ابن عربي) اختلف الناس في رسالة النبى وولايته أيهما أفضل ؟ والذى أقول به أن ولايته أفضل لشرف المتعلق ودوام الولاية في الدنيا والآخرة، أما الرسالة فهى تتعلق بالخلق فهى منقضية بإنقضاء التكليف" (88).

فالمعنى هنا أن الولاية في النبى أفضل منها في غير النبى، فالولى النبى أفضل من الولى فقط، فالولاية عنده أرفع شأناً من حيث متعلقها فهى تتعلق بالله، وهى صلة بين العبد وربه، أما النبوة فهى تتعلق بالخلق. فالإمام هنا يشير الى أن الولى معرفته وعلمه هما أمر خاص به، لم يؤمر بتبليغه كالرسول، ولم يوحى إليه كما هو الحال في النبى والرسول، فعلم النبى والرسول ليس خاصاً بهما بل هى رسالة وتعاليم أُمروا بأدائها الى الخلق.

ومن المعارضين لما ذهب إليه أهل السنة وكبار الصوفية فريق من الحشوية وهم مجسمة أهل خراسان وهم الكرامية (89)، فهم يقولون بأفضلية الأولياء على
الأنبياء(90)، ومن المنتسبين إلى الصوفية الذين ضلوا في تفضيل الولاية على النبوة" ووقع غلطهم في قصة موسى والخضر عليهما السلام، يقول الخضر: (إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا

([86])على شودكيفيتش، الولاية والنبوة عند ابن عربى، ص37.

([87])المرجع السابق ، ص 58.

([88]) د/أبو العلا عفيفى ، التصوف الثورة الروحية في الإسلام ،ص297.

([89])و الكرامية ثلاث فرق حقائقية وطرائقية وإسحاقية ، ويعد جميعهم فريقا واحدا إذ لا يكفر بعضهم بعضا وزعيمهم محمد بن كرام ، **ينظر:** الإسفراييني(طاهر بن محمد ، أبو المظفر المتوفى: 471هـ) ، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ، عالم الكتب – بيروت - ط1 ، 1983، ت: كمال يوسف الحوت (1/111-117)، **وينظر**: البغدادي(عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله التميمي الأسفراييني، أبو منصور المتوفى: 429هـ) ، الفرق بين الفرق ، دار الآفاق الجديدة – بيروت، ط: 2، 1977م، ص 202.

([90])الهجويرى ، كشف المحجوب ،ج2، ص474.

)(91)، فيقول له موسى : (لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا)(92) إلى آخر القصة ، فظنت هذه الطائفة الضالة أن ذلك نقص في نبوة موسى υ، وزيادة في الخضرυ على موسى في الفضيلة ، فأداهم ذلك إلى أن فضلوا الأولياء على الأنبياء عليهم السلام(93).

وهذا يؤكد لنا أن الأنبياء أفضل من الأولياء، وهذا رأى المحققون من كبار الصوفية " فكل ولى من الأولياء ينال ما ينل من الكرامة بحسن اتباعه لنبيه ρ ، فكيف يجوز أن يفضل التابع على المتبوع ؟ والذين قالوا أن الأنبياء عليهم السلام يوحى إليهم بواسطة، والأولياء يتلقفون من الله بلا واسطة، فيقال لهم غلطتم في ذلك؛ لأن الأنبياء هذا حالهم على الدوام أى الإلهام، والمناجاة والتلقف من الله Y بلا واسطة، والأنبياء وقتاً دون وقت، ولو بدت ذرة على الخضرυ من أنوار موسى υ لامتحق الخضر υ ، ولكن حجبه الحق عن ذلك تهذيباً لموسى υ(94).

ومما سبق يتبين لنا أن تفضيل الولى على النبى لم يقل به أحد من أكابر الصوفية والعارفين، ولاشك بتفضيل النبوة على الولاية، فكل نبى ولى، وليس كل ولى نبى.

([91])سورة الكهف، آية67.

([92])سورة الكهف، آية73.

([93])الطوسى ، كتاب اللمع، ص535.

([94])الطوسى ، كتاب اللمع، ص537.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وبفضل جوده تنعم الموجودات، وكما حمدته سبحانه وتعالى في المقدمة أحمده سبحانه في الخاتمة، وأشكره على توفيقه، وصل اللهم وسلم على الرحمة المهداة والنعمة المسداة والسراج المنير وعلى الآل والصحب الغر الميامين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

فمن خلال عرضنا لقضية الولاية وتعريفها وأهميتها عند الصوفية اتضح ما يلى من نتائج:

☜- إن الولاية تتضمن معانى القرب والمحبة والنصرة والمؤازرة، فالعبد عليه أن يوالى الله تعالى بالطاعات وفعل الأوامر واجتناب ما نهى الله عنه ، والتقرب إلى الله تعالى بالنوافل حتى يحبه الله تعالى، فيصير سمعه وبصره وكل جوارحه لا تفعل شيئا إلا في طاعة الله وحينئذ يكون المعنى الحقيقي للولاية.

☜ - الإيمان والتقوى هما أساس الولاية، فالإيمان بالله وملائكته ورسله وهو الجانب العقدي لدى العبد المؤمن، والتقوى في كل ما يأتيه الإنسان وما يدعه وهو الجانب العملي، فإذا آمن العبد بربه واتقاه أنعم الله Y عليه بالولاية .

☜- جميع مشايخ الصوفية متفقون على إثبات الولاية؛ لأنها ثابتة بنص القرآن الكريم والسنة المطهرة، والولاية لها أهمية كبرى في التصوف الإسلامي ومنزلة عظمى وعلى هذا أجمع كبار الصوفية، وأجمعوا كذلك على أن منزلة النبي فوق منزلة الولى، وأن نهاية مقام الولي، بداية مقام النبي، وأن جميع الأولياء متابعون للأنبياء عليهم السلام .

مراجع البحث:

أولاً : القرآن الكريم

ثانياً : المراجع العربية

1)الشيخ أحمد الصاوى ،

شرح الصاوى على جوهرة التوحيد ، ت: د/ عبد الفتاح البزم – دار ابن كثير – دمشق – بيروت .

2)ابن منظور ،

لسان العرب ،دار صادر بيروت- عدد الأجزاء15- ط3-1414هـ.

3)البغدادي(المتوفى: 429هـ) ،

الفرق بين الفرق ، دار الآفاق الجديدة – بيروت، ط: 2، 1977م.

4)البيضاوي (المتوفى: 685هـ)

أنوار التنزيل وأسرار التأويل،= تفسير البيضاوى، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ،عدد الاجزاء5- ط1 - 1418 هـ.

5)أبو بكر الجزائرى،

عقيدة المؤمن، مكتبة الكليات الأزهرية – ط 2– 1978م-1398هـ-

6)التفتازانى (ت: سنة 793 هـ)،

شرح العقائد النسفية، ت: د/أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية ،1408هـ، 1998م.

7) التهانوى،

موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، ت: د/ علي دحروج ، الناشر: مكتبة لبنان – بيروت ، ط1 - 1996م.عدد الأجزاء: 2.

7)الترمذي((المتوفى: 279هـ)

سنن الترمذى، ت: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي ، ناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر- ط2- 1395 هـ - 1975 م - عدد الأجزاء: 5.

8)الثعلبى،

الكشف والبيان تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور- دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - ط 1- عدد الأجزاء / 10-

9)الجرجانى

التعريفات دار الكتب العلمية –بيروت – لبنان - ط1- 1983م، 1403هـ

10)الجوزى (، ت: 597هـ)

زاد المسير في علم التفسير، ت:عبد الرزاق المهدي ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ، ط1 - 1422 هـ

11)بن رجب (ت: 795هـ)،

فتح البارى شرح صحيح البخارى،ت: مجموعة من المحققين، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية، ط ا، 1417 هـ - 1996 م

12)الجعفرى ،

أعلام ومشاهير الصوفية ، – الدار الثقافية للنشر – ط1- 1422هـ، 2003م،

13)الدمشقى (ت: 744 هـ) ،

طبقات علماء الحديث ،مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ت: أكرم البوشي، عدد الأجزاء: 4- ط2، 1417 هـ - 1996 م-

14)الرازي (ت: 666هـ)،

مختار الصحاح، ت: يوسف الشيخ محمد- المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت –

صيدا-ط5، 1420هـ / 1999م.

15)الزبيدى (المتوفى: 1205هـ)،

تاج العروس من جواهر القاموس ،ت: مجموعة من المحققين- دار الهداية للنشر.

16) الزركلى ،

الأعلام دار العلم للملايين، ط15- مايو 2002 م.

17)السعدى (، ت: 1376هـ)،

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة ،ط1- 1420،هـ -2000 م.

18)الإسفراييني(المتوفى: 471هـ) ،

التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ، عالم الكتب – بيروت - ط1 ، 1983، تحقيق: كمال يوسف الحوت.

19)شودكيفيتش،

الولاية والنبوة عند ابن عربى ، ترجمة من الفرنسية د/أحمد الطيب ، دار القبة الزرقاء بالمغرب .

20)الطبرى(ت: 310هـ) ،

جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر: مؤسسة الرسالة- عدد الأجزاء: 24 - ط1، 1420 هـ - 2000 م.

21) د/أبو العلا عفيفى ،

التصوف الثورة الروحية في الإسلام ، دار الشعب- بيروت.

22) العسقلانى(ت: 852 هـ)،

فتح الباري شرح صحيح البخاري دار المعرفة – عدد الأجزاء: 13- بيروت 1379هـ،

23) د/عبد الحليم محمود ،

لطائف المنن ، ، لطائف المنن،ط1- 1991م، 1411هـ، دار الكتاب المصري بالقاهرة – دار الكتاب اللبناني.

سهل بن عبد الله التسترى دار المعارف.

المنقذ من الضلال دار المعارف – ط5.

24) العطار ،

تذكرة الأولياء ، تحقيق: محمد أديب الجادر، ترجمة محمد الأصيلى الوسطانى ، دار المكتبى للطباعة والنشر – دمشق – سورية-ط1-1430هـ، 2009م.

25)ابن فارس (ت 395)، معجم مقاييس اللغة، ت : عبد السلام محمد هارون- دار الفكر- 1399هـ - 1979م- عدد الأجزاء 6.

26)القرطبى(المتوفى: 671هـ)،

في الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة-ط2، 1384هـ - 1964 م- عدد الأجزاء: 20.

27)الإمام القشيري ،

الرسالة القشيرية – تحقيق:الإمام عبد الحليم محمود ، ود/محمود بن الشريف، مطبوعات دار الشعب - 1409هـ، 1989م.

28)ابن كثير ،

تفسير القرآن العظيم ،ت: سامي بن محمد سلامة: دار طيبة للنشر والتوزيع ،ط2 عدد الأجزاء: 8- 1420هـ - 1999 م ،

29) الزمخشرى

الكشاف، دار الكتاب العربي – بيروت، عدد الأجزاء4- ط3 - 1407 هـ 0

30)اللالكائى (، ت: 418هـ)،
شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، تحقيق :د/أحمد سعد حمدان – دار طيبة للنشر والتوزيع بالرياض- ط 1 – 1992م-1412هـ.
31)الألوسى ،
روح المعانى ، ت: علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط:1، 1415 هـ- عدد الأجزاء: 16.
32) ابن أبي العز ،
شرح العقيدة الطحاوية، ت: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركى، وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة- بيروت – ط2-1411هـ، 1990م، عدد الأجزاء2.
33) محمد زكى ابراهيم ،
أصول الوصول ، ط5- 2005م، 1426هـ،
34) ابن الملقن ،
طبقات الأولياء تحقيق: نور الدين شريبه من علماء الأزهر، مكتبة الخانجي، بالقاهرة،ط2، 1415 هـ - 1994 م.
35) ابن كثير،
البداية والنهاية –دار الفكر- 1407هـ، 1986م-عدد الأجزاء15،
36) الماوردي(، المتوفى: 450هـ)،
تفسير الماوردي ، ت: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان ، عدد الأجزاء: 6.
37) النووي(المتوفى: 676هـ) ،
المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، عدد الأجزاء: 18- ط:2، 1392هـ.
38) النيسابورى (المتوفى: 427هـ)،
الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور- دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان –ط1- عدد الأجزاء 10- 1422 هـ - 2002 م.